الصباح الإسلامية
09
العدد 1654 - السنة السادسة
الاربعاء 27 شوال 1434 - الموافق 4 سبتمبر 2013
Wednesday 4 September 2013 - No.1654 - 6th Year

يثرب مكان انطلاق الدعوة الإسلامية وانتشار نورها في ربوع الكون

الهجرة.. أعظم أحداث التاريخ ونقطة التحول في الدعوة

■ تجلت قدرة الله الجبار في حفظ نبيه من مكر الكافرين بعد أن أجمعوا أمرهم على قتله

■ لا سبيل لأحد إلى حصر جنود الله والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاً

كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة، أعظم حدث حول مجرى التاريخ، وغيّر مسيرة الحياة ومناهجها التي كانت تحياها، وتعيش محكومة بها في صورة قوانين ونظم وأعراف، وعادات وأخلاق وسلوك للأفراد والجماعات، وعقائد وتعبدات وعلم ومعرفة، وجهالة وسفه وضلال وهدى، وعدل وظلم.

وبعد أن منيت قريش بالفشل في منع الصحابة -رضي الله عنهم- من الهجرة إلى المدينة، على الرغم من أساليبهم الشنيعة والقبيحة، فقد أدركت قريش خطورة الموقف، وخافوا على مصالحهم الاقتصادية، وكيانهم الاجتماعي القائم بين قبائل العرب؛ لذلك اجتمعت قيادة قريش في دار الندوة للتشاور في أمر القضاء على قائد الدعوة، وقد تحدث ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال:30] فقال: فتشاورت قريش بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثائق، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: أن أخرجوه، فاطلع الله نبيه على ذلك فبات عليّ على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليًا رد الله كيدهم، فقالوا أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم الأمر، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثا.

قال سيد قطب في تفسيره للآيات التي تتحدث عن مكر المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم: «إنه التذكير بما كان في مكة، قبل تغير الحال، وتبدل الموقف، وإنه ليوحي بالثقة واليقين في المستقبل، كما ينبه إلى تدبير قدر الله وحكمته، فيما يقضي به ويأمر: ولقد كان المسلمون الذين يخاطبون بهذا القرآن أول مرة، يعرفون الحالين معرفة الذي عاش ورأى وذاق، وكان يكفي أن يذكروا بهذا الماضي القريب، وما كان فيه من خوف وقلق، في مواجهة الحاضر الواقع وما فيه من أمن وطمأنينة، وما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، في مواجهة ما صار إليه من غلبة عليهم، لا مجرد النجاة منهم.

لقد كانوا يمكرون ليوثقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبسوه حتى يموت، أو ليقتلوه ويتخلصوا منه، أو ليخرجوه من مكة منفيًا مطرودًا، ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعًا، ليتفرق دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

إنها صورة ساخرة وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل من تلك القدرة القادرة، قدرة الله الجبار، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره، وهو بكل شيء محيط.

الترتيب النبوي للهجرة

عن عائشة أم المؤمنين قالت: كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث.

قالت: فلما دخل، تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخرج عني من عندك» فقال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك، فداك أبي وأمي! فقال: «إنه قد أذن لي في الخروج والهجرة» قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة» قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلا من بني الديل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركا يدلهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهم سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام، شاب، ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك، حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبتان في رسل- وهو لبن منحتهما ورضيفهما- حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا- والخريت الماهر- بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، ووا عداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل فأخذ بهم طريق السواحل».

الوصول إلى الغار

لم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر.

أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته وكان الميعاد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، وذلك للإمعان في الاستخفاء حتى لا تتبعهما قريش، وتمنعهما من تلك الرحلة المباركة، وقد اتعدا مع الليل على أن يلقاهما عبد الله بن أريقط في غار ثور بعد ثلاث ليال.

رقة النبي عند خروجه من مكة

وقف الرسول صلى الله عليه وسلم عند خروجه بالحزورة في سوق مكة، وقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت».

ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بطش المشركين، وصرفهم عنهما.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس: (أن المشركين اقتفوا الأثر حتى إذا بلغوا الجبل جبل ثور اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسيج العنكبوت على بابه) وهذه من جنود الله عز وجل التي يخذل بها الباطل، وينصر به الحق؛ لأنه جنود الله جلت قدرته أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتلمل في ضخامتها فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش ذي لجب، قال تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ» [المدثر: 31]. أي وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو، فجنود الله غير متناهية؛ لأن مقدوراته غير متناهية، كما أنه لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة.

من فضائل المدينة

العصمة من الدجال والطاعون والبركة الدائمة

لقد عظّم شرف المدينة المنورة المباركة بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، حتى فضلت على سائر بقاع الأرض حاشا مكة المكرمة، وفضائلها كثيرة منها:

1 – محبته صلى الله عليه وسلم لها ودعاؤه لها:

دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه قائلًا: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر، فأبصر إلى درجات المدينة، أوْضع ناقته وإن كان على دابة حركها» قال أبو عبدالله: زاد الحارث بن عمير عن حميد «حركها من حبها».

2 – دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بضعفي ما في مكة من البركة:

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان الناس إذا رأوا أول ثمر جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه» قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر.

3 – عصمتها من الدجال والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم:

إن الله تعالى قيض لها ملائكة يحرسونها، فلا يستطيع الدجال إليها سبيلا، بل يلقى إليه بإخوانه من الكفار والمنافقين، كما أن من لوازم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالصحة ورفع الوباء ألا ينزل بها الطاعون، كما أخبر بذلك المعصوم صلى الله عليه وسلم.

4 – فضيلة الصبر على شدتها:

فقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على شدة المدينة وضيق عيشها بالشفاعة يوم القيامة، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها، وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة».

5 – فضيلة الموت فيها:

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو بهذا الدعاء: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم).

وقد استجاب الله للفاروق رضي الله عنه فاستشهد في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يؤم المسلمين في صلاة الفجر.

6 – هي كهف الإيمان وتنفي الخبث عنها:

فالإيمان يلجأ إليها مهما ضاقت به البلاد، والأخباث والأشرار لا مقام لهم فيها

ولا استقرار، ولا يخرج منها أحد رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه من المؤمنين الصادقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الإيمان ليأرز، إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»، وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه، ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد».

7 – تنفي الذنوب والأوزار:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها -أي المدينة- طيبة تنفي الذنوب، كما تنفي النار خبث الفضة».

8 – حفظ الله إياها ممن يريدها بسوء:

فقد تكفل الله بحفظها من كل قاصد إياها بسوء، وتوعد النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث فيها حدثًا، أو آوى فيها محدثًا، أو أخاف أهلها، بلعنة الله وعذابه، وبالهلاك العاجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع، كما ينماع الملح في الماء»، وقال صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرم الله، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة عدل، ولا صرف»).

9 – تحريمها:

فقد حرمها النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله فلا يراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح، ولا يروع فيها أحد، ولا يقطع فيها شجر، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، وغير ذلك ما يدخل في تحريمها قال صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، حرّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها»، يعني المدينة، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيرة ولا تحمل فيها السلاح لقتال».

إن هذه الفضائل العظيمة جعلت الصحابة يتعلقون بها، ويحرصون على الهجرة إليها، والمقام فيها، وبذلك تجمعت طاقات الأمة فيها، ثم توجهت نحو القضاء على الشرك بأنواعه، والكفر بأشكاله، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها.

الحب في الله أوثق عرى الإيمان

(سبعة يظلهم الله في فله يوم لا ظل إلا ظله..... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه .....) رواه البخاري1423 ومسلم.

وما دين الإسلام إلا الحب في الله والبغض في الله، لأن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب، ومن لم يكن الله وحده محبوبه ومعبوده فلا بد أن يتعبد قلبه لغيره، وذلك هو الشرك المبين، ومن تم كان الحب في الله هو الدين، ألا ترى أن امرأة العزيز لما كانت مشركة كان منها ما كان مع كونها ذات زوج، ويوسف لما أخلص الحب في الله ولله نجا من ذلك مع كونه شابا غربا مملوكا قال الله تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ آل عمران 31.

(من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله) «حسن» صحيح الجامع 5958.

قال في الكشاف: الحب في الله والبغض في الله باب عظيم، وأصل من أصول الإيمان، ومن لازم الحب في الله حب أنبيائه وأصفيائه، ومن شرط محبتهم اقتفاء آثارهم وطاعة أمرهم.

(من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله) رواه أحمد «حسن» صحيح الجامع 6288.

فمن أفضل الأعمال أن يحب الرجل الرجل للإيمان والعرفان لا لحظ نفساني كإحسان، وأن يكرهه للكفر والعصيان لا لإيذائه له، والحاصل أن لا يكون معاملته مع الخلق إلا لله، ومن البغض في الله بغض النفس الأمارة بالسوء وأعداء الدين، وبغضهما مخالفة أمرهما والمجاهدة مع النفس بحبسها في طاعة الله بما أمر ونهى، ومع أعدائه تعالى بالمصابرة معهم والمرابطة.

الخشوع الضائع!

كان الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه يقول: ان الرجل ليصلي ستين سنة ولا تقبل منه صلاة، فقيل له: كيف ذلك؟

فقال: لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا قيامها ولا خشوعها

ويقول الخليفة الراشد الملهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ان الرجل ليشيب في الاسلام ولم يكمل لله ركعة واحدة ! قيل: كيف يا أمير المؤمنين ؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها

ويقول الامام أحمد بن حنبل رحمه الله: يأتي على الناس زمان يصلون وهم لا يصلون، وانى لأتخوف أن يكون الزمان هو هذا الزمان! فماذا لو أتيت الينا يا امام لتنظر أحوالنا؟

ويقول الامام الغزالي رحمه الله: ان الرجل ليسجد السجدة يظن انه تقرب بها الى الله سبحانه وتعالى، ووالله لو وزع ذنب هذه السجدة على أهل بلدته لهلكوا، سئل كيف ذلك؟ فقال: يسجد برأسه بين يدي مولاه، وهو متشغل باللهو والمعاصي والشهوات وحب الدنيا.

فاي سجدة هذه؟

ويقول النبي الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه: «وجعلت قرة عيني في الصلاة».

فبالله عليك هل صليت مرة ركعتين لله فكانتا قرة عينك؟

وهل اشتقت مرة أن تعود سريعا الى البيت كي تصلي ركعتين لله؟

وهل اشتقت الى الليل كي تخلو فيه مع الله؟

يقول سبحانه وتعالى: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: لم يكن بين اسلامنا وبين نزول هذه الآية الا أربع سنوات ، فعاتبنا الله تعالى بها، فبكينا لقلة خشوعنا لمعاتبة الله لنا.

فكنا نخرج ونعاتب بعضنا بعضا نقول:ألم تسمع قول الله تعالى: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله». فيسقط الرجل منا يبكي على عتاب الله لنا، فهل شعرت أنت يا أخي أن الله تعالى يعاتبك بهذه الآية؟.

من مواقف الصحابة المشهودة

اصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سمعوا القرآن طبقوه وباعوا انفسهم واموالهم بل واعراضهم في سبيل الله فأين نحن الآن من اخلاق هؤلاء الكرام الذين عندما سمعوا قوله الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون» وقوله عز وجل «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله»، باع كثير منهم نفسه لله فبعد انتقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – الى الرفيق الاعلى خرج ابوبجانة في خلافة ابي بكر الصديق جنديا في الجيش الكبير الذي ذهب لملاقاة جيوش الردة التي جمعها مدعي النبوة مسيلمة الكذاب وكالعهد به، وكما كان يقاتل بقيادة الرسول حارب جيوش المرتدين في اليمامة ببسالة وعندما لم يستطع المسلمون دخول حصن مقام في وسط حديقة كان المرتدون يقاتلون منه، طلب ابودجانة من زملائه ان يحملوه ويلقوا به داخل الحصن حتى يفتح لهم بابه، وعندما ابدوا خوفهم عليه من وجوده بمفرده بين مقاتلي العدو اصر غاضبا على مطلبه، وتتم ارادة الصحابي الجليل ويحمله زملاؤه في المعركة ويلقون به داخل الحصن فتنكسر ساقه، لكن ابا دجانة لا يبالي بما اصاب ساقه فيمسك سيفه يقاتل به المرتدين وحده احتى استطاع ان يزيحهم عن الباب ويفتحه.. ويدخل المسلمون ويظل ابودجانة يقاتل غير مبال بساقه المكسورة، حتى يسقط شهيدا في معارك اليمامة المنتصرة. وآخر يتصدق بعرضه عن عبدالمجيد بن ابي عبس الحارثي عن ابيه عن جده قال: حض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الصدقة فقال علبة بن زيد – رجل من الانصار-: اللهم انه ليس لي مال اتصدق به فأيما رجل من المسلمين نال من عرضي شيئا فهو عليه صدقة، فلما كان من الغد جاء الناس الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجاء كل رجل بما قدر عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين المتصدق بعرضه البارحة قال: فقام علبة فقال: انا يا رسول الله قال: قد قبل الله صدقتك. والفائدة ان الانسان لا يعدم وسيلة تقربه الى الله فلا يبخل وليبحث عن وسيلة القربى الى الله والله قادر على توفيقه وعونه والقبول منه.